

ولو كنت معي ، يا ولد ، حين عبرنا طريق اللطرون نحو اورشليم ، لرأيت امامك الخط الاخضر مرسوما بالفعل على الطبيعة نفسها بخضرة جبالنا المكسوة بأشجار الصنوبر ، الشجرة تخاصر الشجرة والغصن يصافح الغصن وفي ظلها يتعاقب المحبون . ثم كنت ستري ، قبالة جبالنا المكسوة ، جبالكم العارية حتى بلا اسمال تخفي عوراتها المكشوفة صخورا ظلت تبكي ربع قرن حتى سحّت عنها كل التربة . دعونا تكفكف دموع الصخر واما انتم فلا تكفوا عن الانشغال بدموعكم وانتم تبذون القصور في اعالي الصخور .

— ألهذا هدمتم قرى اللطرون ، عمواس ويالو وبيت نوبا ، وشردتم اهاليها ، يا معلمي الكبير ؟

قال : لقد أبقينا على الدير لرهبانه ، مجلبة للساكنين ، وعلى المقابر لذويها ، ايماننا برب العالمين . وورثنا هذا الرحب بهذه الحرب . والذي فات مات . وهو مثل امريكي من اصل الماني .

وما بلغ هذا البيت من شعره حتى كانت السيارة تبلغ بنا بيوت عين جالوت التاريخية ، التي اعيدت الى اصلها التوراتي — عين حارود . وفيها عين ماء تصب في بركة انشأها اهل الكيبوتس ويؤمنها اهالي الناصرة ليتبردوا وليشتموا المغول .

فأردت ان اجاربه في شعره فشدني من شعري قائلا : لا يكن لك فكر . لقد انتصرت على المغول في وقعة عين جالوت لانهم جاؤوا لينهبوا وليذهبوا . اما نحن فاذا نهبتنا فنهب لنبتى . واما انتم فالذين يذهبون . اصرف عنك هذه الوسوس التاريخية واستعد لدخول سجن شطة .

وما ان قال هذا الكلام حتى وقع تغير فجائي في وجه الطبيعة من حوالينا . زالت الخضرة في طرفة عين فلم تعد العين ترى سوى أرض جرداء وصخور قمراء ، على اليمين وعلى اليسار وعلى امتداد البصر ، كأنما كنا نشاهد مسرحا هبط في خلفه منظر وارتفع في مكانه منظر .

فتلثت متهمكما وانا اتظاهر بالجهل بالجيبوبوليتيكا : ها نحن خرجنا عن الخط الاخضر ودخلنا في خط العرب الاغبر ، الذين تركوا اراضيهم انتيكا .

فزجرني وصاح : كنت احسبك حمارا فاذا انت احمر . انظر امامك فتر الى م ستدخل .

فنظرت امامي فاذا ببناء ضخم ينتصب امامي ، كالمغول في الصحراء . جدرانسه الداخلية مطلية بالكلس الابيض . وحوله سور عال مطلي بالذهان الاصفر ، لامر ما . وفوق سطوحه انتصبت كمانن الحرس ، المشرعي السلاح ، على اربعة اطرافه . فها لنا مشهد هذه القلعة الصفراء ، لا خضرة ولا كسوة ، وهي نائنة ، كالدمل السرطاني ، على صدر أرض مريضة بالسرطان . حتى انه لم يتمالك نفسه عن القول : سجن شطة الرهيب ، ما اروعه !

فوجدتني أهمس وانا مشرب العنق هلعاً : ما شاء الله !

قال : مدير السجن هو الذي يشاء فانزل اوصيه بك .